





أ.د. صالح بن عبد العزيز بن عثمان سندي

أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم



وصايا لطلاب العلم *

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين..

أما بعد

فأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعلني وإياكم -يا أيها الإخوة الفضلاء- من الموفقين السعداء، وممن إذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا أذنبوا استغفروا؛ فإن الموفق هو الذي يجمع هذه الأمور الثلاثة.

أيها الإخوة الكرام: إنّ علامة التوفيق للعبد المسلم أن يكون قلبه يقظًا، أن يكون قلبه حيًا، أن يعلم الغاية لوجوده في هذه الحياة، يكون متبصِّرًا يقظًا غير غافل، يعرف أنه موجود في هذه الحياة لغاية عظيمة؛ هي أن يكون عبدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مطيعًا له، مؤديًا أمره، متبعًا هدي نبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيقضي الساعات

---

* أصل هذه الأوراق محاضرة ألقيت في مدينة نواكشوط بدولة موريتانيا بتاريخ ١٤/ ٦/ ١٤٤٥هـ.

والأيام التي كتبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له ثم يرتحل عن هذه الدنيا وقد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هذه هي الحقيقة العظيمة التي وفّق الله جَلَّ وَعَلَا لإدراكها الخُلَّصَ من عباد الله، وقليلٌ من الناس على هذه الأرض مُتبصِّرون ومدركون لهذه الحقيقة. الناس -يا إخوتاه- كلٌ يسير في هذه الحياة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها**»[(١)]، كل الناس تقوم في الصباح وتخرج من بيتها؛ هذا يذهب يمينًا وهذا يذهب شمالاً، وهذا يذهب لأمر دينه وهذا يذهب لأمر دنياه، وهذا همه الآخرة وذاك همه الدنيا، كل الناس يغدو، لكن الموفق هو الذي يعرف هذه الحقيقة التي قدمتها لك ويعمل لها؛ يعرف فيلزم، يعرف الحقيقة فيلزمها، فيجعل حياته كلها وقفًا على طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله جَلَّ وَعَلَا خلقك لعبادته، لتكون عبدًا له.

الله خلق قلبك لكي يمتلئ حبًا ورجاءً وتعظيمًا ومخافةً وتوكلاً واعتمادًا على الله.

الله خلق بصرك لكي تتأمل به وتتفكر في آيات الله المتلوة والكونية.

أعطاك الله هذه العين لكي تقرأ بها في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، لكي تقرأ بها حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا لكي تقلِّبها فيما حرم الله جَلَّ وَعَلَا.

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣).

أعطاك الله هذه اليد لكي ترفعها تدعو إلى الله جَلَّ وَعَلَا، لكي تقبض بها في صلاتك، لكي تسجد عليها، الله خلق هذه اليد لهذا الغرض وليس للعب ولا لشيء آخر.

أعطاك الله هذه القدم لكي تذهب إلى بيت من بيوت الله تؤدي فرض الله، تتجه بها إلى طاعة الله، ما خلقها الله عَزَّوَجَلَّ للعب، تذهب بها إلى أمور الدنيا نعم! ولكن أن يكون هذا قصدًا تبعيًا، أما القصد الأصلي كل جوارحك يجب أن تكون وقفًا على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢].

كل المسلمين يقولون ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦﴾ [البقرة ١٥٦] ما معنى هذه الكلمة؟ لابد أن نتبصر ونتفكر فيما نقول؛ «إنا لله»: نحن ملك لله عَزَّوَجَلَّ، نحن عبيد لله عَزَّوَجَلَّ، ونحن مرتحلون عن هذه الدنيا لنلقي الله عَزَّوَجَلَّ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] [الكهف: ١١٠]، ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ﴾ [العنكبوت: ٥] لابد من موقف بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تلقى فيه ربك ويحاسبك على عملك.

إذًا هذه حقيقة ناصعة يا إخوتاه لابد أن نضعها نصب أعيننا، فإن كثيرًا من الناس قد ضاعت هذه الحقيقة، تاهوا في مسارب هذه الحياة، البوصلة كما يقولون ضائعة لا يعرف إلى أين يتجه؟ لكن أنت إنْ وفقك الله عَزَّوَجَلَّ فكنت مؤمنًا بالله

موحدًا له متبعًا رسوله محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأنت على خير، تمشي في هذه الحياة والطريق واضح أمامك ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٢﴾ [الملك: ٢٢] طريق واضح، تعيش في هذه الحياة والأمور واضحة أمامك، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [يوسف:١٠٨] «على بصيرة»: يعيش وعنده بصيرة يرى بها الأشياء على حقائقها، لا يغتر بهذه الدنيا وزخارفها ولا يغرُّه شيء عن الحقيقة الناصعة التي خُلق من أجلها، والتي هو مقبلٌ لأجلها ومقبلٌ عليها بعد انتقاله من هذه الحياة، هو على بينة من ربه، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود: ١٧]؛ عنده بينة ووضوح في كل خطوة يخطوها في هذه الحياة.

هذا ورب السماء هو الموفق السعيد، وكثير من الناس مع الأسف الشديد ليسوا كذلك، كثير من الناس يصحو ويدب في هذه الحياة ويرقد ويقوم ويغدو ويرجع وهو تائه، ينسى نفسه، لما نسي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونسي الحقيقة التي هو عليها من كونه عبدًا لله وخُلِق لأجلها بأن يكون موحدًا لله، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ أنساه نفسه، عجيب أن يعيش إنسان وقد نسي نفسه.

ربما يقول قائل كيف ينسى الإنسان نفسه؟ ربما ينسى الإنسان جواله، ربما ينسى الإنسان قلمه، ينسى مفتاح بيته، لكن أن ينسى نفسه! كيف؟ نعم؛ أن ينسى مصالحها، ألا يسعى في إنقاذها من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، ولذلك هو تائه، ما

يدري إلى أين يذهب؟ هو يظن أنه مشغول، ودائمًا إذا سألته يقول أنا مشغول لكن مشغول في ماذا؟ هل مشغول في الحقيقة التي خُلقت من أجلها؟ أم أنت مشغول في شيء آخر؟

هنا موضع توفيق وخذلان يا إخوتاه، والناس كلهم في هذه الحياة في كل أمورهم في كل حركاتهم وسكناتهم، في كل تصرفاتهم يدورون على قاعدة التوفيق والخذلان.

هناك أهل توفيق، وهناك أهل خذلان؛ الموفق من وفقه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمخذول من خذله الله، لكن والله يا إخوتاه من صدق ربه فوالله ليصدقنه ربه، من صدق الله صدقه الله، الذي يقبِل على الله والله إن الله لا يعرِض عنه، من أقبل على الله أقبل الله عَزَّوَجَلَّ عليه، الله شكور ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ [الليل:٥-٦] ايش النتيجة؟ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل:٧].

والله إن ربنا لكريم «من أتاه يمشي أتاه هرولةً» هكذا أخبر الصادق المصدوق صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ربنا كريم ربنا شكور وربنا رحيم، فمن صدق الله عَزَّوَجَلَّ بصَّره وعرَّفه بما غاب عن كثير من الخلائق، ولذلك هو يسير في هذه الحياة على بينة ونور وهدى حتى تخرج آخر نسمة كتبها الله له وبعدها ينتقل إلى الحياة الحقيقية ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني الحياة الحقيقية، أما هذه التي نعيش فيها هذا مجرد معبر وليست هذه مقرًا لنا ، هذه مجرد معبر

نمضي فيها مدة يشاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ثم سنغادرها قطعًا الليلة غدًا بعد غد الله أعلم ، لكن لقاء الله قريب ورب السماء، ولقاء الله آتٍ.

إذًا السعيد من تبصّر -يا إخوتاه- بهذه الحقيقة فعمل لها وسعى لها سعيها، ولم يغترَّ بالصوارف والشواغل عن طاعة الله، عاش في هذه الحياة وهو ذو قلب سليم، ولذلك فإنه من الناجين عند الله عَزَّوَجَلَّ، قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]؛ هذا فقط الذي ينجو عند الله عَزَّوَجَلَّ عاش في هذه الحياة وقلبه قلب سليم، ما معنى قلب سليم؟ أسلم لله، وسلَّم لله، وسلِم من كل ما يقطعه عن الله، هذا هو القلب السليم يا إخوتاه.

بعكس القلب الميت أو القلب المريض، فإنه أبعد شيء عن هذه السلامة، وبالتالي فإنه لا نجاةً له إلا أن يتغمده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى برحمته، فيُبصِّره بهذه الحقيقة أو يمنُّ عليه بتوبة يمن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بها عليه.

أمّا من انصرف عن طاعة الله عَزَّوَجَلَّ بالكلية وما عبَد الله، وعاش في هذه الحياة وكانت النتيجة أن خرج منها غير موفق مخذول خذلانًا كليًّا، هذا والله لا أمل له في رحمة الله.

ومن قصَّر ولكنّه حقق الأصل من طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حقق أصل الإيمان، فإنه بين عفو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعدله.

المقصود يا إخوتاه أن هذا الزمان زمان قد كثرت فتنه، وأننا لنرى مصداق حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي خرّجه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحه: «**بَادِرُوا بالأعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا**» إنا لله وإنا إليه راجعون «**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا**»(١)، كم بين الصباح والمساء من ساعة يا إخوتاه؟ اثنا عشر؟ سبع ساعات؟ ثمان ساعات؟ عشر ساعات؟ كافيةً أن ينقلب الإنسان رأسًا على عقب عياذًا بالله، ساعات كافية لكي ينقلب الإنسان على عقبيه نعوذ بالله، نعوذ بالله من الحور بعد الكور، فتن عظيمة جدًا نعم.

وهذا شيء يعرفه من كان عنده خبرة بأحوال الناس، فمجموعة من الصفحات والأسطر التي يقرؤها في مواقع التواصل أو عدة مقاطع ربما تكون كفيلةً بأن ينقلب الإنسان على عقبيه، نسأل الله السلامة والعافية.

هذه حقيقة يا إخوتاه، ومثل هذا حري أن يخافه الإنسان، فإن الشر إذا كثر كان حريًا أن يُخاف أكثر.

مصداق هذا: قول خليل الله إبراهيم -الذي كان خليل الله ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ [النحل:١٢٠]، وأُمرنا معشر هذه الأمة باتباع ملته ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]، ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾

(١) أخرجه مسلم (١١٨).

[النحل: ١٢٣]، ما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قط باتباع ملة أحد من الرسل إلا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إمام الحنفاء وأبو الأنبياء عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وخير الخلق على الإطلاق، بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومع ذلك ماذا بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من حاله؟ بين من حاله أنه دعا الله عَزَّ وَجَلَّ دعاءً عجيبًا فقال: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم:٣٥]، إنا لله وإنا إليه راجعون، كان يخشى على نفسه ويخشى على أبنائه، فيدعو الله عَزَّ وَجَلَّ بهذا الدعاء الصادق أن يجنِّبه وبنيه عبادة الأصنام، ما السبب؟ انظر التعليل، ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

إذًا كلّما كان الشر منتشرًا كان حريًّا أن يخاف؛ فهذه الفتن يا إخوتاه والله فتن عظيمة، كم من الناس من كان على الجادة وعلى سبيل سوية وصراطٍ مستقيم ثم نكص على عقبيه نعوذ بالله من كثرة الفتن، كثرة الفتن التي تصل إلى الإنسان وهو ملتحف في فراشه، ما عادت الأمور مثل السابق تذهب أنت تبحث عن الفتنة! لا، الفتنة اليوم تأتيك في محلك، لا يحتاج أن يذهب يبحث عن الفتنة، الفتنة تأتيه إلى محله، وهو في غرفته وملتحف بلحافه والفتنة تأتيه، وتزيِّن له معصية الله عَزَّ وَجَلَّ، بل ربما زينت له الكفر بالله وتعالى.

الأمر عظيم والأمر خطير وأرجو أن تأخذ هذا الكلام على محمل الجد يا أخا الإسلام والسنة؛ خذ الموضوع على محمل الجد، الفتن كثيرة وتحتاج منك إلى أن تكون محتاطًا حذرًا يقظًا ساعيًا في نجاة نفسك، وعسى أن تسلم بعد ذلك.

فالمقصـــود أنك إذا أردت النجاة يا رعاك الله في هذا الزمان المدلهم والمتخم بهذه الفتن **فالوصية لك يا عبد الله عدة أمور:**

✍ **أولًا**: أن تتضرّع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصدق أن يُثبِّتك على هذا على هذا الدين وأن يُثبِّت قلبك عليه، ادعُ الله بصدق ادعُ الله بقلبٍ حاضرٍ قائلاً: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مُصرِّف القلوب والأبصار صرِّف قلبي على طاعتك. سل من بيده هذه القلوب أن يثبتك على هذا الدين وألا يضلك بعد إذ هداك، قل بقلب حاضر: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران:٨]. سلْ ربّك أن يتوفَّاك مع الأبرار، سلْ ربّك أنْ يتوفّاك مسلمًا.

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو النبي الرسول الكريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يدعو بهذا الدعاء أن يتوفاه ربه سبحانه مسلمًا، ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف:١٠١]؛ هكذا ينبغي على كل متبع للأنبياء والرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ أن يسأل الله بصدق أن يموت على الإسلام وأن يسلم من الفتن؛ لأن لا ضمان -يا إخوتاه- للإنسان لكونه وُلد مسلمًا، أو من أبوين مسلمين، أو أنه طالب علم، أو أنه مستقيم على الطاعة، أو أنه شيخ يشار إليه بالبنان.. والله هذه ليست ضمانات ورب السماء، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكم من الناس من كان يشار إليه بالبنان وإذا به قد خُتم له بخاتمة السوء، نسأل الله السلامة والعافية.

إذًا أول قضية أن تبرأ من حولك وطوْلك وقوتك وعلمك واجتهادك وتفوِّض الأمر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سائلاً إياه بصدق أن يثبتك على هذا الدين.

✍ **ثم الوصيّة الثانية** بعد ذلك يا إخوتاه: أن تكون مجتهدًا في تعلم دينك؛ العلماء أعظم الناس ثباتًا على هذا الدين، العلماء أعظم الناس ثباتًا إذا هبت رياح الفتن، لماذا؟ لأنّهم قد اعتصموا بتوفيق الله عَزَّوَجَلَّ بحبل وثيق، العلم نور يُبصِّر الإنسان، العلم صيانة، العلم حماية؛ إذا كنت على علم بدين الله عَزَّوَجَلَّ، إذا كنت على علم بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، إذا كنت على علم بقال الله قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فأبشر بالخير، هذا من علامات التوفيق وهذا من أسباب التوفيق ومن أسباب الثبات.

وأعظم ما ينبغي عليك أن تعتني بتعلمه أن تتعلم العقيدة الصحيحة، أن تتعلم توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، اجعل هذه القضية قضيةً كبرى في حياتك، اليوم يقولون هناك أهداف استراتيجية للحياة، صحيح؟ اجعل من أهدافك الاستراتيجية في الحياة إذا ضرب الناس أخماسًا في أسداس في هذه القضايا وداروا حول الدنيا فقط ودائمًا يتكلم عن المستقبل، «المستقبل» المستقبل الحقيقي هناك ليس المستقبل هنا، ليس المقصود أن الإنسان مطلوب منه أن ينسلخ من حياته! لا، لكن المقصود أن تكون هذه الحياة ليس القلب محلها. إنما تكون في اليد.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ ذكر مثالاً حسنًا لحال المؤمن مع الدنيا،

يقول: «الدنيا للمؤمن كالخلاء» يعني أكرمكم الله كدورة المياه، «لابد منها ولا يأنس الإنسان بها»، يعني قضية مهمة لابد أن تدخل إلى دورة المياه، لكنها ليس محل أنس وسعادة وارتياح، إنّما تقضي حاجتك في أقصر وقت ثم ماذا؟ ثم تخرج. هكذا ينبغي إن كان الإنسان موفَّقًا بصيرًا أن يجعل هذه الدنيا في يده لكن لا يجعلها في قلبه.

إذًا من كان مجتهدًا في التعلّم متعلِّمًا التوحيد ومتعلمًا الاعتقاد فإن عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلبه ستكون شيئًا كبيرًا، سيقدُر الله عَزَّوَجَلَّ حقَّ قدره هذا سبب من الأسباب والتوفيق بيد الله، لكن أن تتعلم التوحيد والاعتقاد هذا والله يا إخوتاه من أمارات التوفيق ومن أسباب الثبات؛ لأن هذا الاعتقاد ما هو؟ الاعتقاد: هو أن تعرف الله عَزَّوَجَلَّ تعرفه بأسمائه وصفاته ونعوت جلاله وجماله وكماله، أن تعرف حقه على عباده؛ وبالتالي فإنك تقْدُره حق قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتُعظِّمُه حق تعظيمه، وبالتالي لا يصبح في قلبك شيء له قيمة وقدر.

خذها قاعدةً: تعلم هذا الاعتقاد سبب من أسباب تحقيق الإيمان والتوحيد؛ وبالتالي سيكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظم محبوب في قلبك، وكلّما عظم حبك لله تبارك قلّت المحبوبات في قلبك، وكلّما عظم خوفك من الله قلّت المخوفات في قلبك، وكلما عظم رجاؤك في الله عَزَّوَجَلَّ قلّ ما ترجوه مما سواه.

هذه قضايا يا إخوتاه يقينيةً، هذه قضايا قطعية؛ فإن القلب محلٌ واحد، كأنه

إناء واحد، ولكن الأشربة متنوعة، فمتى ما امتلأ هذا الإناء بشيء لم يكن فيه محل لغيره، إذا امتلأ هذا القلب بمحبة الله عَزَّوَجَلَّ أنّى يكون فيه محبة لما سواه؟! وإذا كان هذا القلب مملوءًا بتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ أنّى يُعظِّمُ ما سواه؟!

إذًا اللهَ اللهَ يا إخوتاه أن نجتهد جميعًا في تعلم العقيدة الصحيحة ولا سيما في هذا الزمان الذي كثر فيه دعاة السوء والشر والضلال؛ الذين يبثون الشرك يبثون تعطيل صفات الله عَزَّوَجَلَّ، الذين يبثون عقائد باطلة في مسائل الإيمان وفي مسائل القدر وفي مباحث كثيرة هي من أصول الدين ومن عمَد الإيمان، ولكن كثيرًا منهم يصرفون الناس عن هذا الحق المبين عن عقيدة السلف الصالح؛ ولذلك يا إخوتاه لابد من دراسة العقيدة الصحيحة التي مضى عليها السلف الصالح رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ لأن هذا من أعظم أسباب الثبات هذا واحد.

✍ **الأمر الثالث**: أنّك تعطف على العلم العمل؛ فإنّ العلم مقصودٌ للعمل، وأما علم بلا عمل فإنه وبال على صاحبه، فهما أمران قبيحان:

١. أن تعمل بلا علم.

٢. أو أن تعلم ولا تعمل.

والموفق هو الذي علم وعمل، اجتهِدْ في أن تُطبِّقَ الذي علمتَ، إياك أن يكون حرصك واجتهادك وفي الحفظ والقراءة وحضور الدروس واستماع المحاضرات وإلى آخره، ولكن ما عندك همة بعد ذلك أن تجتهد! أن تأطر نفسك

على الحقِّ أطرًا! أن تسوسها سياسةً صادقة! أن توجهها إلى الحق! أن تربي نفسك تربيةً صحيحةً!

من كان همه في العلم ولكنه كسلان ضعيف فاتر فيما يتعلق بالعمل فهذا دليلٌ على أن هناك خبيئة سوء في قلبه نعوذ بالله وقلَّ أن يوفق، لكن من كان مجتهدًا في العلم ثم يُتبعه بالعمل فإن هذا حريٌّ أن يوفق، اجتهد في تطبيق اجتهد في العمل بما تعلمته فإنّ هذا من أعظم أسباب الثبات يا إخوتاه.

✍ **الوصيّة الرابعة**: أنك إذا سألت الله بصدق أن يثبتك على هذا الدين، ثم اجتهدت في تعلم هذا الدين ولا سيما ما يتعلق بأصل الدين، ثم اجتهدت بعد ذلك بالعمل؛ فتوِّجْ ذلك بأمر رابع وهو: أن تكون داعيةً إلى الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، الدعوة إلى الله من أسباب ثبات الداعية.

الذي يحرص ويجتهد على أن يكون سببًا في نجاة غيره فليبشر أن جزاءه من جنس العمل، سيكون هذا العمل من أسباب أن يثيبه الله عَزَّوَجَلَّ على ذلك أن ينجو هو. فاستعن بالله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ وأدِّ حقَّ الله عَزَّوَجَلَّ عليك حق الله يا إخوتاه والله علينا عظيم، ومن حقه علينا سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أن ندعو إليه، وأن نبين دين الله عَزَّوَجَلَّ للناس، وهذا من أعظم الأعمال التي يحبها الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣]. الاستفهام هاهنا استفهام إنكاري، يعني: لا أحد أحسن قولاً من هذا الذي اهتدى في نفسه ثم سعى في هداية غيره؛ كان داعيةً

إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ .

والدعوة إلى الله يا إخوتاه والله إنها اصطفاءٌ من الله، لا تظن أن الأمر راجع إلى قوتك وشخصيتك ونشاطك وفصاحتك، لا والله، القضية اصطفاءٌ من الله، الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يصطفيك لهذه الرتبة المنيفة أن تكون داعيةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تُبصِّر الناس بالحق وتدلهم على الهدى، هذا توفيق يا رجل، إذا وفقت إليه فاحمد الله عَزَّوَجَلَّ عليه، هذه طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هذا سبيل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ ما هي؟ ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:١٠٨].

إذًا إن كنت تريد أن تكون متبعًا صادقًا لمحمد بن عبد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدُونك هذا السبيل، هذا السبيل فأين المشمِّرون؟ اجتهد في أن تبين دين الله؛ انصح بين الحق أمر بالمعروف انْهَ عن المنكر انصح خلق الله عَزَّوَجَلَّ فإن من خير ما تعبد الله عَزَّوَجَلَّ به النصيحة لخلق الله عَزَّوَجَلَّ، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع لك الدين كلّه في كلمة واحدة فقال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١)، إذًا هذا دليل على عظمة هذا الأمر يا إخوتاه.

إذًا من أسباب الثبات على هذا الدين أن تدعو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن تجتهد في الدعوة إلى الله.

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

واعلم يا رعاك الله أنك إن فتح لك باب للدعوة إلى الله جَلَّ وَعَلَا فاعلم أن هناك تلبيسات تأتيك من الشيطان ومن أعظمها أن يظن من يدعو وينصح ويوجِّه أسرته جيرانه الناس عمومًا أن يظن أن الدعوة تحتاجه، وأن كل شيء متوقف عليه هو، لا يا عبد الله، لا يا مسكين، دين الله عَزَّ وَجَلَّ والله منصور بك وبغيرك، الدين دين الله جَلَّ وَعَلَا، لذلك ادع إلى الله وفي قرارة نفسك أنك أنت المحتاج إلى الدعوة، لا أن الدعوة محتاجة إليك، أنت محتاج إلى فضل الله، أنت محتاج إلى أن تبرأ ذمتك ، أنت محتاج إلى أن تؤدي الواجب الذي أوجبه الله عَزَّ وَجَلَّ عليك، أن تدعُوَ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

إذًا حذار من هذه الظنون الكاذبة، من هذه الأوهام الشيطانية التي ترِدُ على قلب الإنسان فيظن أن الناس بحاجة إليه والدعوة وبحاجة إليه. لا، يا مسكين أنت بحاجة للدعوة. إذا كنت تظنَّ أن الناس أن الدعوة بحاجة إليك اجلس في بيتك، الدين ليس بحاجة لك، اجلس، لكن تدعو إلى الله وأنت تعتقد أن هذا من فضل الله عليك، وأنك أنت محتاج إلى أن تدعو إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأهل السنة يا إخوتاه من سماتهم: أنهم أهل رحمة، قلوبهم مليئةً بالرحمة لعباد الله جَلَّ وَعَلَا، من القواعد النيرة التي أصّلها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أهل السنة أعلم بالحقِّ، وأرحم بالخلق»، وهذا شيء قد بيّنه لنا رسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما بعث موكب الدعوة إلى التوحيد، بعث معاذًا وأبا موسى

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دعاة إلى التوحيد في اليمن ماذا أمرهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا**» هذا من الرحمة، سهِّلوا الدعوة. «**وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا**»[(١)]؛ لا تصعِّبُوا الأمور، قرِّبُوا الناس إلى الحقِّ، أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيح لما جاء إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يشكو أنّ دوسًا أعرضت عن الحق. فقال الرحيم بهذه الأمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وأْتِ بهِمْ**»[(٢)].

إذًا أهل السنة يا إخوة أهل رحمة بكل أحد؛ بالموافق وبالمخالف، بل حتى بالكافر! لماذا؟ لأنه يعلم مآله ومصيره لو مات على كفره فهو يرحمه، ولذلك يدعوه ويبصِّره ويسعى في أن ينقذه من عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ.

إذًا هذه سمة لأهل السنة والجماعة وللصادقين من عباد الله عَزَّ وَجَلَّ أنّ قلوبهم قلوب رحيمة، ولذلك يجتهدون، وأولى الناس برحمتك يا عبد الله هم الأقربون لك، أهل بيتك.

بعض الناس يا إخوتاه حريص على الدعوة لكنه لا يُبصِر من حوله، دائمًا نظره إلى الأبعدين، لكن هناك إشكالات كبيرة في أقرب الناس إليه وهو لا يدري في غفلة، أولى الناس بخيرك هم الأقربون منك أهل بيتك؛ هم والداك، هم أبناؤك، هم زوجك، هم قرابتك، هم جيرانك.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٣٧).



النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم أخبر أن أهل الجنة ثلاثة ومنهم -انظر إلى هذا الكلام العظيم من لدن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ**»[1]، والله إن الإنسان ليعجب من هذا الكلام العظيم، تريد الجنة؟ دونك هذه الأوصاف الثلاثة.

النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر أولها وهو «**ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ**»، قال «**وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ**»، هذه الرحمة ورقة القلب لا تقتضي فقط أن تساعد بالمال أو تساعد بالطعام، وهذا والله شيء عظيم، لكن هناك رحمة أعظم من هذه وهي: أن ترحمه في أن لا يناله عذاب الله عَزَّ وَجَلَّ، تسعى في إنقاذه من غضب الله جَلَّ وَعَلَا، قال: «**وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»، هؤلاء الثلاثة أخبرنا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم أنهم أهل الجنة.

إذن هذه أمور أربعة أوصيك بها يرعاك الله:

✍ أن تسأل الله بصدق أن يثبتك على هذا الدين.

✍ أن تجتهد في التعلم.

✍ وأن تجتهد في العمل.

✍ وأن تجتهد في الدعوة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

وأبشر بذلك، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كريم وخزائنه ملأى، والذي أعطى غيرك من أهل العلم والخير والتقوى والصلاح قادر على أن يعطيك، فأمِّلْ في ربِّكَ خيرًا وظُنَّ بربِّك خيرًا.

والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبر عن ربه جَلَّ وَعَلَا أنه قال كما في الصحيح قال: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»(١)، ونحن نظنُّ بربِّنا خيرًا كثيرًا؛ نظن به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يثبِّتنا على هذا الدين حتى نلقاه، وأن نخرج من هذه الدنيا ونحن على توحيد صادق واتّباع صادق لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نظنُّ في ربِّنا جَلَّ وَعَلَا أنّه أهل التقوى، وأنّه أهل المغفرة، وأنّه الرّحيم الرّحمن، فنظنُّ أنّه سيرحمُنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا لقيناه في الدّار الآخرة.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يرحمنا برحمته وأن يُوفِّقَنا في الثّبات على هذا الدين حتى نلقاه، كما أسأله تبارك وتعالى أن يملأ قلوبنا بحبه، وألسنتنا بذكره، وأن يوفِّقنا لطاعته، وأن يستعملنا في مراضيه، وأن يجعلنا من جُنده ومن أنصار دينه، إنَّ ربنا لسميع الدعاء.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) أخرجه أحمد (١٦٠١٦)، والدارمي (٢٧٣١)، وابن حبان (٦٣٣).